مجلة الشهاب • المجلد: 11، العدد: 2 (2025م) • ص ص 181 – 210
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

منهج الشيخ عبد الرحمن الكحَّال (1250هـ/1323هـ) في تفسيره: «جُهد المُقِلِّ على الكلامِ الذي لا يُمَلُّ»

The methodology of Sheikh Abdul Rahman Al. kahhal in his interpretation: «juhd almuqal ealaa alkalam aladhi la yamalu» "widow's mite put into interpreting the word that is never. boring I.e. the Quran"

عبد الكريم علي الخلف*
جامعة طرابلس (لبنان)
abdklaf@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2024-02-05	تاريخ القبول: 2025-04-20	تاريخ النشر: 2025-07-15

****

ملخص:

يندرجُ هذا البحثُ ضِمنَ مناهجِ المُفسِّرينَ، ويُسلِّطُ الضَّوءَ على منهجِ أحدِ علماءِ القرن الثالث عشر الهجري في تفسير القرآن، وهو الشيخ عبد الرحمن العيَّان الكَحال، وهذا التفسير كان مفقودًا، وتمَّ العثور على نسخة مخطوطة منه في مكتبة إسطنبول في تركيا عن طريق أحد الباحثين، والتفسير بعنوان «جهد المقل على الكلام الذي لا يمل» وأردت في هذا البحث أن أعرف العلماء وطلاب العلم بهذا التفسير ومنهج مؤلفه فيه، والذي يتلخص في النقاط الآتية: يتوسع بذكر أسباب النزول، وفضائل السور، واللغة والبلاغة، والقراءات القرآنية، ويختصر فيما يتعلق بالمناسبات بين الآيات والسور، والأحكام الفقهية، والخلافات العقدية، ويستطرد بذكر الإسرائيليات والقصص، ولكنه ينبه على الموضوع منها، وبالجملة، فهو تفسيرٌ [من المطولات: 8 أجزاء] جامعٌ بين التفسير الأثري، والتفسير بالرأي، وفيه إضافة مهمة للمكتبة التفسيرية لو تمَّ تحقيقه كاملًا.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ تفسير؛ جهد؛ القرآن؛ الكحال.

Abstract:

This research paper falls under the category of methodology of (Quran intrepreters/commentators). In particular, it sheds light on the methodology of Sh. Abdurrahman Al-ayyan Al-kahhal, one of the scholars of "tafsir" from the 13th century A.H. This "tafsir" (Quranic commentary) was lost, subsequently, a manuscript of it was found at Istanbul library, it was found by one of the researchers. This "tafsir" is titled «juhd almuqal ealaa alkalam aladhi la yamalu» "widow's mite put into interpreting the word that is never-

* المؤلف المراسل.

boring I.e. the Quran" Through this paper I intend to introduce scholars and students alike to this "tafsir" work, and the methodology of its author within. Here is a summary of his methodology: He expounds on "the occasions behind revelation of verses", virtues of soorahs, linguistics and rehtoric, various modes of recitation, while being concise regarding the connections between the chapters and verses, legal rulings and theological discussions. This "tafsir" elaborates on Israili narrations "those narrations from biblical sources or oral traditions associated with it" and stories. He also points out those narrations that are unauthentic. Finally, this "tafsir" book is one of the extended books of "tafsir", coming in 8 volumes. It combines between "tafsir based on early narrations and oral traditions" and "opinion based tafsir". This book has a value to add to the tafsir library if the book was critically annotated entirely.

Keywords: methodology; Alkahhal; Quran; Tafsir; interpreter.

1. مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ العناية بكتب التفسيرِ ودراسةِ مناهج المفسرين قديمًا وحديثًا تُعدُّ من الأهميَّة بمكان، وبخاصة لمن أراد التخصص في التفسير وعلوم القرآن الكريم، ولمَّا كان الشيخ (عبد الرحمن العيان الكحال) من العلماء المتخصصين في علم التفسير، وكان له جهدٌ واضحٌ في هذا المجال، حيثُ ألَّفَ ﷺ كتابه في التفسير المسمى بـ«**جُهْدُ المُقِلّ على الكلامِ الذي لا يُمَلُّ**[1]» في ثمانية أجزاء كبيرة، فأحببتُ أنْ أعرِّف الباحثين بكتابه التفسير ومنهجه الذي سار عليه في تأليفه[2].

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث كونه يتناول عَلَمًا من أعلام التفسير وعلوم القرآن في القرن الثالث عشر، فهو يعرفنا على مناهج المفسرين في هذه الحقبة الزمنية التي لا نعلم عنها الكثير، ومؤلفه هو الشيخ الطبيب عبد الرحمن الكحال قد أودع فيه عصارة علمه وفكره، وحصيلة دهره، ومن هنا تبرز أهمية البحث؛ لأعرِّف الباحثين والقرَّاء بهذا التفسير ومنهج مؤلِّفه فيه.

الدراسات السابقة:

هذا التفسير لم يُحقَّق أو يُدرس مِن قَبل. على حد علمي واطلاعي. لأسباب منها: أنه كان مفقودًا حتى عام 2022م، وأيضًا ضخامة حجمه، فهذا التفسير يُعدُّ من المُطوَّلات؛ حيث جاء في ثمانية أجزاء، وعدد صفحاته (4460) صفحة، ولو تمَّ تحقيقه ممكن أن يخرج في 12 مجلدًا.

(1) وهذا التفسير لا يزال مخطوطًا إلى الآن.

(2) وفي حدود علمي واطلاعي لم يبحث هذا الموضوع من قبل؛ لأن الكتاب لا يزال مخطوطًا غير معروف لكثير من طلاب العلم، خاصة أنه كان مفقودًا إلى عهد قريب، ثم وجدت منه نسخة فريدة في تركيا، وحصلت عليها كاملة ولله الحمد.

2. ترجمة المؤلف (الشيخ عبد الرحمن الكحال)

1.2. حياته الشخصية:

أ- اسمُه ونَسَبُه:

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد صالح بن محمد الخطيب بن محمد العيَّان بن عبد الله الكحال[1] بن علي بن شعبان بن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد بن الشيخ زين، الشافعي مذهبًا، من آل الشيخ زين المشهور نسبهم ببني برم، المفسر الطبيب، والفقيه الأصولي الأديب[2].

ب- نشأتُه:

وُلِد الشيخ الكحال في مدينة (معرة مصرين)[3] في عام 1250هـ الموافق 1835م، في أسرة دينية وعلمية، فوالدُه من حُفَّاظ القرآن الكريم، نشأ وتترعرع في بيت جدِّه القريب من الزاوية العيانية، وكان والده الشيخ محمد صالح العيان علماء معرة مصرين، فكانت له حلقةٌ علميةٌ في جامع معرة مصرين الكبير يحضرها طلاب العلم، إلى جانب عمله في التجارة ومهنة آبائه وأجداده (الكحالة) _والكحال لقب مهنة كان يطلق على طبيب العيون حتى بداية القرن العشرين_. وأمَّا جدُّه الشيخ محمد الخطيب فقد كان خطيب الجامع الكبير في معرة مصرين، وكان يخطب لعقود طويلة حسبةً لوجه الله تعالى.

ج- تعليمُه:

ولمَّا شبَّ الشيخ عبد الرحمن خيَّره والدُه بين العمل معه في التجارة أو يرسله إلى حلب لطلب العلم، فاختار طلب العلم، فرحل إلى حلب فتًى واجتمع بالشيخ أحمد الترمانيني ابن الشيخ عبد الكريم الترمانيني (مفتي الشافعية بحلب)[4] وأخذ عنه العلم في تكية بابا بيرم في محلة أقيول في حلب، ولاحظ شيخه عليه أمارات الفطنة والنباهة فدعا له بقوله: (فتح الله عليك يا شيخ عبد الرحمن). ومن شيوخه الشيخ أحمد شنون[5]، فمكث عندهما سنين يقرأ العلوم ويحضر الدروس على علماء حلب الكبار أمثال: الشيخ بشير

---

(1) ونسبة العيان والكحال لكون المفسر طبيبًا كحالًا أخذ الكحالة عن آبائه وأجداه. وقد نجد في تفسيره ما يدل على عنايته بالفوائد الطبية.

(2) ينظر: محمد عدنان، علماء من حلب، وأيضًا: الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، وأيضًا: ترجمة لحفيد الشيخ الأستاذ زاهر عيان الكحال، منشورة في الإنترنت:

https://www.facebook.com/zaher.kahal/posts/pfbid02hhkEaZ9ydky5FuGoGP73yDsxFVjnE1NoD1xW1marAeWaYvS2JBpPPLedupemk5R1l

(3) بلدة سورية تتبع لمحافظة إدلب.

(4) أحمد بن عبد الكريم الترمانيني، علَّامة كبير، ومفتي الشافعية بحلب، توفي 1293هـ، /. ينظر: الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج7/ص349.

(5) هو أحمد بن قاسم شنون الحجار الحلبي، كان فقهيًا عابدًا، له مصنفات كثيرة منها: «تنقيح حاشية ابن عابدين» توفي 1270هـ، /. ينظر: الطباخ، إعلام النبلاء، ج7/ص296.

الغزي في الجامع الأموي الكبير الذي كان قد اتَّخذ له غرفة صغيرة بداخله يبيت فيها، وكانت حلب في ذلك الوقت منارة علمية ضمت في أرجائها الكثير من المكتبات الوقفية، فكان الشيخ يذهب إليها وعلى رأسها المدرسة الأحمدية التي استفاد منها كثيرًا، كما صرَّح في مواضع مِن مصنَّفاته، فصقلت ملكة الشيخ العلمية، نتيجة الدراسة والمطالعة، وعزم على كتابة التفسير، وكان له ما أراد، لكنه يعتقد أن تفسيره هذا هو جهد المقل، ولهذا سمَّاه: «جهد المقل على الكلام الذي لا يمل».

د- أسرتُه:

تزوَّج الشيخ عبد الرحمن من السيدة فاطمة الشب، وآل الشب هم أخواله، وأعقب منها أربعة ذُكُورٍ هم: محمد المعروف بالشيخ عيان، ومحمد خطيب الشهير بالشيخ خطيب، ومحمد صالح، ومحمد سامي، وثلاث بنات هن: كاتبة، وخديجة، وأسماء.

هـ- الوظائف التي شغلها:

عُيِّن الشيخ في نيابة القضاء في معرة مصرين فبقي فيها أيَّامًا ثم استعفى فأعفي، وبقي مشتغلًا في التدريس والتأليف، وكان يدرس حسبةً لوجه الله في شهر رمضان في مساجد معرة مصرين، وكان الناس يقصدونه في غرفته في الجامع الأموي في حلب للفتوى وحلِّ المشكلات، وكان أيضًا يجلس في البيمارستان[1] (شمالي الجامع الأموي) المعروف بدار الكحالين، يمارس الكحالة فيه للمرضى، ويقيم بدار أبيه في معرة مصرين الكائنة في محلة السبعة قرب الجامع الكبير بمعرة مصرين.

2.2. حياته العلمية ومؤلفاته:

أ- حياته العلمية:

أخذ الشيخ عبد الرحمن الكحال العلم في بداية أمره عن والدِه (الشيخ محمد صالح) وجدِّه (الشيخ محمد الخطيب) وكانا من العلماء، كما تلقَّى العلمَ في حلبَ على يدِ كوكبةٍ من علمائها أمثال: الشيخ أحمد الترمانيني، والشيخ عبد السلام الترمانيني، والشيخ أحمد شنون الحجار، والشيخ بشير الغَزِّي، وحسبك بهؤلاء علمًا وفقهًا، وفي إدلب أخذ العلم عن الشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي، وعُرِف عنه جِدُّهُ في طلب العلم وتحصيله، فحكى سبطه ابن ابنته (حسيب الجندي) أنه بينما كان الشيخ عبد الرحمن في أحد دروس الشيخ أحمد الترمانيني في تكية بابا بيرم بحلب، مرَّ عرسٌ أمام المدرسة، ومعهم الطبول والمزامير، فازدحم التلاميذ على الشبابيك ينظرون، وبقي الشيخ عبد الرحمن يقرأ في كتابه ولم يتحرَّك من مكانه، فدعا له الشيخ أحمد الترمانيني قائلًا: (فتح الله عليك يا شيخ عبد الرحمن) فحصلت له بركة من هذا

(1) كلمة فارسية تعني مشفى أو دار الشفاء.

الدعاء. وكان مُحدِّثُ ومُؤرِّخُ حلبَ الشيخُ محمَّد راغب الطباخ ﷺ يُثني على عِلم الشيخ عبد الرحمن الكحال، وينوي إضافة ترجمة له في كتابه: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» لكن أدركته المنية قبل ذلك[1].

وبرع الشيخ في علوم كثيرة، على رأسها التفسير واللغة والمنطق، والفقه والأصول، والحديث، ولا أَدلَّ على ذلك مِن مصنفاته التي تركها في شتَّى العلوم والفنون، وكان الشيخ ﷺ يحفظ الشعر العربي، وله مختارات منه، وعاش الشيخ ﷺ متنقلًا بين حلبَ ومعرة مصرين ومعرة النعمان، ففي معرة مصرين كانت له غرفة في مسجد الصمصام يجلس فيها للتصنيف والتأليف، ويدرس في مسجد (أحمدو) ومسجد (العاشوري) ومن رفاقه في طلب العلم السيد أحمد بن صالح الجندي العباسي (مفتي معرة النعمان) والشيخ الصاري من أرمناز، وكان من أخص أصدقائه في إدلب السيد محمد بن طاهر بن عبد القادر الكيالي نقيب الأشراف، والشيخ العالم الطبيب أحمد الحكيم الإدلبي، وغيرهم.

ب- مؤلفاته:

أولًا: الآثار المخطوطة:

ويعود الفضل في حفظها لحفيده الأستاذ الأديب محمد خطيب عيان ﷺ الذي جمعها وجلدها وفهرسها، وكان كثير القراءة بها، وهي:

1. **رسالة السانحة**: جمعها في معرة النعمان بإشارة من مفتيها السيد أحمد الجندي العباسي، وهي رسالة تتضمن أبوابًا في العقائد والأخلاق والفقه ونصائح في الإفتاء ويتخللها فوائد طبية وصحية.

2. **الوعاء**: مجموعة جمعها في الجامع الأموي الكبير في حلب سنة 1322 للهجرة بإشارة من الفاضل العالم أحمد ناصر آغا، وهي مجموعة تتضمَّن مِلَحًا وطرائفَ وأخبارًا وأشعارًا ومشاهدات وأحاديث ومسائل فقهية وأخبارًا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم والصحابة رضوان الله عليهم وهي أشبه بالكشكول العلمي كما يقول في مقدمتها.

3. **مجموع في العلوم**: تلخيص بعض علوم العربية.

4. **المأمورات والمنهيات**: جزءان في الأحكام الشرعية، الجزء الأول في المأمورات كتب سنة 1312 للهجرة، والجزء الثاني في المنهيات كتب سنة 1313 للهجرة.

5. **رغبة العباد على معفوات ابن العماد**: حاشية جمعها من شروح وحواشي مختلفة.

(1) المصدر: ترجمة تفضل بها حفيد المصنف الأستاذ زاهر الكحال.

6. **الوصول إلى الأصول**: في علم أصول الدِّين، حُرِّر في الحادي والعشرين مِن ذي الحجة سنة ألف وثلاثمئة وأربع عشرة.

7. **حاشية على متن إيساغوجي**: أوراق حاشية على متن إيساغوجي في المنطق، وهي ناقصة.

8. **شرح المقاصد**: في الفقه والتصوُّف، وفيه نقص كبير.

9. **المجموعة الإدلبية**: جمعها في إدلب سنة 1318 للهجرة.

10. **نفح الودودي على ورد الداودي**: وفيه نقص.

11. **حاشية على قصة المعراج**: أشار له بتأليفها الشيخ محمد علي صوان، ولم يتم تأليفها.

12. **رسالة في الطاعون والوباء**: لخصها من طاعونية ابن نجيم.

13. **رسالة في الفقه**: أحكام النيَّة.

14. **تعليم ما لم يعلم وتفهيم ما لم يفهم في الكبائر**.

15. **كتاب في علم البديع**: ناقص، وكان هناك نسخة كاملة منه.

16. **الرسالة النافعة**: جمعها في إدلب لدى السيد المفضال أبي أحمد بن هاشم الرفاعي الكيال.

17. **ثلاث مجموعات حديثية**: أولاها مختارة من كتاب كنوز الحقائق للشيخ عبد الرؤوف المناوي، وأخرى مختارة من مشكاة المصابيح، والثالثة من كتب الحديث المتفرقة.

18. **مجموعة الفراغ**: أرشده لتصنيفها النجيب الأديب أحمد بيازيد زادة الحلبي.

19. **حاشية على الورقات لابن الكاملية**.

20. **معاني البيان**: مختارات شعرية.

21. **تفسير القرآن الكريم**: «**جُهد المُقِلّ على الكلامِ الذي لا يُمَلُّ**» وهو موضوعُ بحثنا، هذا التفسير هو أجلُّ مصنَّفات الشيخ، وقد وضع فيه زبدة علمه، واستغرق في تصنيفه سبع سنوات، فُقِدَ هذا التفسير بإسطنبول وكان بحوزة وَلَده الأكبر محمد، المعروف بالشيخ عيان، أيَّام الانقلاب على السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد ﷺ، وعلى نسخة التفسير المبيضة _والتي لا تزال مفقودة_ تواقيع وتقاريظ لعلماء حلب الذين اطلعوا عليه، وقد نال هذا التفسيرُ منهم القَبولَ والإعجابَ، ومنهم السيد الشيخ محمد العبيسي (مفتي بحلب) وكان عونًا له في تصنيف تفسيره ابنته السيدة الحافظة الطبيبة (كاتبة) رحمها الله وكان كثير الدعاء لها، ومُؤخَّرًا وُجِدَ في مكتبة جامعة إسطنبول، وقد راسل الدكتور البحاثة فاتح قايا العالم الفاضل الشيخ مجد بن أحمد مكي الحلبي، فدَلَّه على ذُرِّيَّة المُفسِّر الشيخ عبد الرحمن[1]،

(1) ووصل التفسير إلى حفيد الشيخ الأستاذ زاهر الكحال، ووصلني من خلاله جزاه الله خيرًا.

ووصل إليهم بواسطة الشيخ مجد مكي إذ أرسله الشيخ موسى سنجق المفهرس والمحاضر بجامعة إسطنبول، والتفسير يوجد كاملًا في جامعة إسطنبول، وهو يقع في ثماني مجلدات، وما العثور على هذا التفسير إلَّا مِنَّةٌ مِن الله تعالى ودلالةٌ على صِدْق مُؤلِّفِه وإخلاصِه ﷺ.

ثانيًا: الآثار المفقودة:

1. **شرح الوظيفة الشاذلية**: ذكرها في إحدى مصنفاته، وليس بين أيدينا نسخة منها.

2. **متفرقات**: وهي مصنَّفات كان بعضها بحوزة أخيه السيد محمد توفيق بن محمد صالح عيان الكحال، فُقِدَت بوفاته ﷺ.

3.2. وفاته:

كان الشيخ في أواخر حياته يشتاق أن يدفن في مكَّة أو المدينة، وكان إذا استيقظ من الليل تواجد وأنشد أشعارًا تشوق للحجاز وأهله، وتوفي متأثرًا بمرضه بالذبحة الصدرية نهار الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة ختام سنة 1323 للهجرة، ودفن بمعرة مصرين في المقبرة الشمالية إلى جانب آبائه رحمهم الله، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

3. منهجه في تفسيره «جُهد المُقِلّ على الكلامِ الذي لا يُمَلُّ»

1.3. وَصف التفسيرِ وأسبابُ تأليفه:

هذا التفسير كان مفقودًا إلى عهدٍ قريبٍ، ثُمَّ عَثَر عليه أحدُ الباحثين الأتراك في مكتبة جامعة إسطنبول (مكتبة الآثار النادرة)، وتاريخُ العثور عليه في الرابع عشر من حزيران 2023م، (وسأضع صورة الصفحة الأولى والأخيرة من هذا المخطوط)[1].

عنوان المخطوط: جُهد المُقِلّ على الكلامِ الذي لا يُمَلُّ، وهذا الاسم أثبته المُؤلِّفُ بنفسه في نهاية الجزء الثاني، حيث قال: (وقد فَرَغ القلمُ بعون الله وتيسيره وحُسنِ توفيقِه، مِنَ الجزء الثاني من التفسير المُسمَّى بـ«جهد المُقِلّ على الكلام الذي لا يُمَلُّ» نهار الأربعاء الواقع في إحدى وعشرين يومًا خلت من شهر الله الحرام، الواقع في سنة ستة وثلاثمئة بعد الألف مِن هجرة مَن خَلَقَه الله على أكمل وَصفٍ ﷺ)[2].

المؤلف: الشيخ عبد الرحمن بن محمد العيان الكحال المولود سنة 1250هـ والمتوفى سَنَة 1323هـ.

وصف النسخة: هذه النسخة بخط المؤلِّف، كما ذُكِر في آخرِ المخطوط، وجاء حبر آيات القرآن باللون الأحمر، والتفسير باللون الأسود، والخطُّ واضح ومقروء، واستغرق عمل مؤلفه فيه 6 سنوات.

(1) والمخطوط حصلت عليه كاملًا من أحد أحفاد المؤلف.

(2) الكحال، عبد الرحمن العيان، جهد المقل على الكلام الذي لا يمل، ج2/ص514-أ. [ولكونه مخطوطًا لم يطبع بعدُ أشيرُ إلى بيانِ وجه الورقة (أ - ب) لأن كل ورقة تتكون من وجهين].

عدد الأجزاء: يقع في ثمانية أجزاء.

الجزء الأول: عدد صفحاته (580) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورتي البقرة وآل عمران، تمَّ الفراغُ مِنهُ في 4 رجب 1305هـ، وكان عُمُر المؤلِّف 55 سنةً، أي: أنَّه ألَّفه في أواخر حياته، ونضوج ملكته العلمية.

الجزء الثاني: عدد صفحاته (517) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورة النساء والمائدة والأنعام، تمَّ الفراغُ مِنهُ في 21 محرم 1306هـ.

الجزء الثالث: عدد صفحاته (539) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورة الأعراف إلى سورة هود حتى الآية 40 منها، وتمَّ الفراغُ مِنهُ في 20 شعبان 1306هـ.

الجزء الرابع: عدد صفحاته (581) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير تتمَّة سورة هود إلى سورة الكهف حتى الآية 74 منها، وتمَّ الفراغُ مِنهُ في أول جمادى الأولى 1307هـ.

الجزء الخامس: عدد صفحاته (502) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير تتمَّة سورة الكهف إلى نهاية سورة الشعراء، تمَّ الفراغُ مِنهُ في 21 ذي الحجة 1307هـ.

الجزء السادس: عدد صفحاته (515) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورة النمل إلى نهاية سورة الصافات، تمَّ الفراغُ مِنهُ في 11 رمضان سنة 1308هـ.

الجزء السابع: عدد صفحاته (679) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورة «ص» إلى نهاية سورة الطور، تمَّ الفراغُ مِنهُ في 20 رمضان 1309هـ.

الجزء الثامن: عدد صفحاته (547) صفحة، مُشتَمِلًا على تفسير سورة النجم إلى نهاية المصحف، تمَّ الفراغُ مِنهُ في شعبان 1310هـ.

عدد الأسطر في الصفحة الواحدة: تتراوح بين 21. 25 سطرًا.

الملاحظات: يوجد في المخطوط بعض المواضع أصابها التَّلَف اليسير، لكنها لا تؤثر عليه في المجمل.

وأمَّا سبب تأليفه: كان هدف المُصنِّف مِن وضع هذا التفسير أن ينتفع به لنفسه أولًا، ثُمَّ يَعُمَّ نفعُه لباقي المسلمين، وهذا ما صرَّح به في المقدمة عندما قال: (وبعدُ، فيقولُ كثيرُ المساوئ والعصيان، الراجي عفو ربِّه المنَّان، عبد الرحمن بن محمد صالح بن الشيخ محمد العَيان، هذا تفسير عظيم الشان، قصدت به نفع نفسي ومن ارتضاه مِنَ الإخوان، راجيًا من الله تعالى الرحيم الرحمن، أنْ يَنفَعَ كلَّ إنسان، وأن يجعله خالصًا مِن شوائب النقصان، وما [ذلك] عليه بعزيز وعليه التكلان[1]، آمين)[2].

(1) يتحرى المصنف القافية بألف ونون على عادة السابقين في السجع.

(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص1-أ.

صور المخطوط: (صورة الصفحة الأولى من المخطوط).

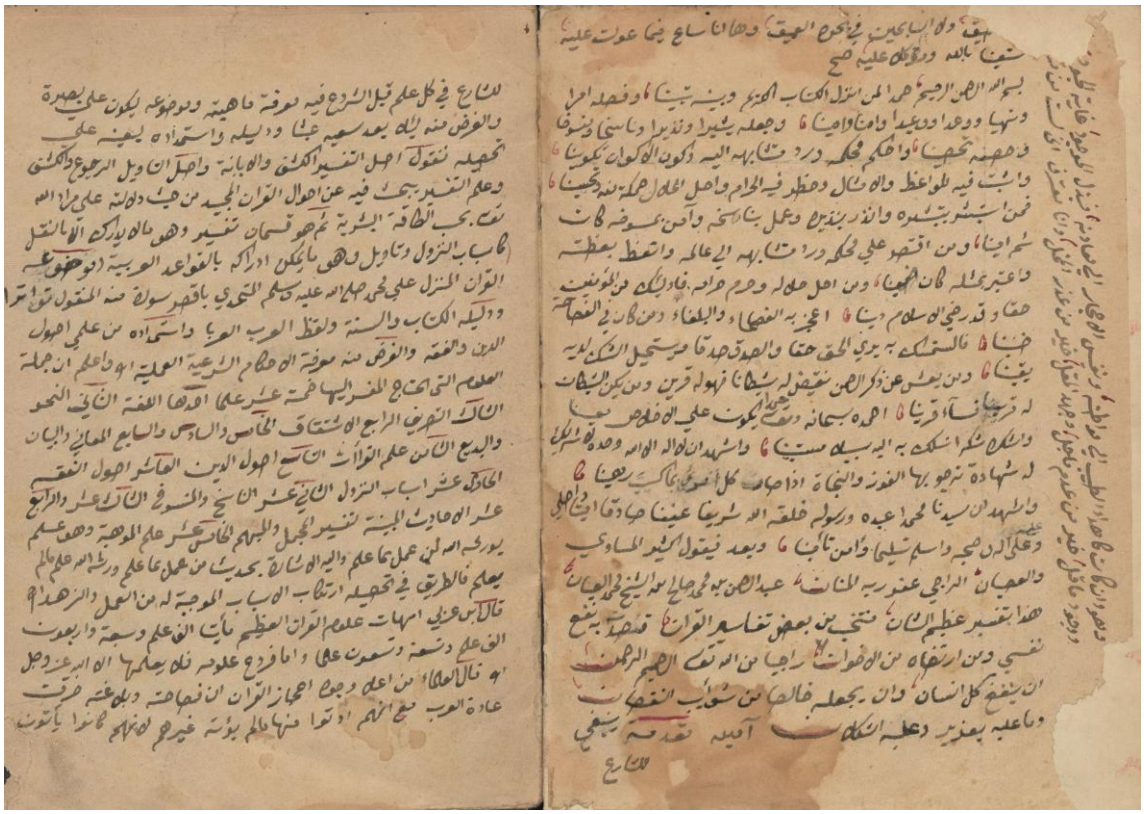

(صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط).

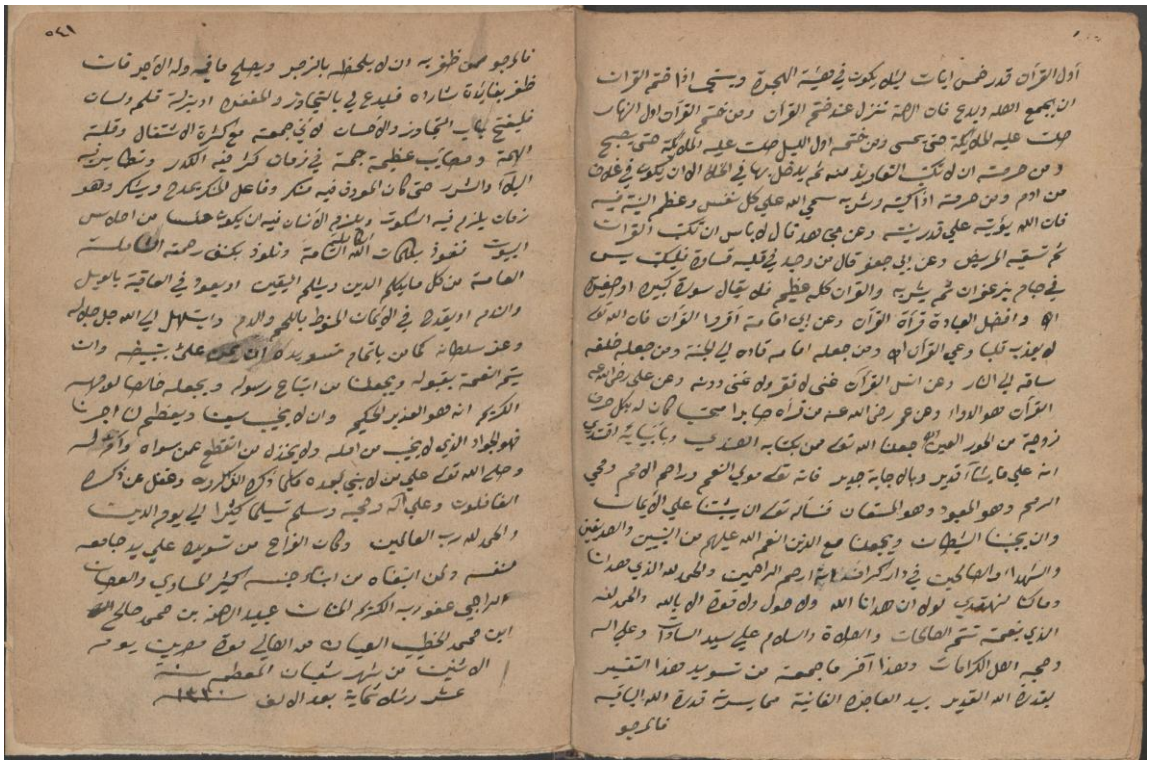

2.3. مصادره التي اعتمد عليها في التفسير:

إنَّ مصادر المصنِّف في هذا التفسير كثيرة ومتنوعة، فاعتمد على كتب التفسير بالمأثور، وكتب التفسير بالرأي، والتفسير اللغوي، والتفسير البلاغي...الخ، وسأذكر المصادر التي اعتمد عليها الشيخ في تفسيره مرتبة حسب تاريخ وفاة المفسر من الأقدم إلى الأحدث، وسأكتفي بمثالٍ واحدٍ عن كلِّ مصدرٍ تجنُّبًا للتطويل:

1- «**بحر العلوم**» لأبي اللَّيث نصر بن محمد **السمَرقَندِيّ** (373هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4]: (قال أبو اللَّيث في «تفسيره»[1]: واليقين على ثلاثة أوجهٍ: يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة، فأمَّا يقين العيان؛ إذا رأى شيئًا زال الشك عنه في ذلك الشيء، وأمَّا يقين الخبر؛ فإنَّ الرجل يعلم باليقين أنَّ في الدنيا مدينة يقال لها: بغداد، وإن لم يكن يعاينها، وأمَّا يقين الدلالة؛ فهو أن يرى دُخانًا يرتفع مِن موضع يعلم باليقين أنَّ هناك نارًا وإن لم يرها)[2].

2- «**معالم التنزيل**» لمحيي السُّنَّة الحسين بن مسعود **البَغَوِيّ** (516هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19]: (قال البغويُّ[3]: أي: عالِمٌ بهم، وقيل: جامِعُهم. وقال مجاهدٌ: يجمعهم فيعذبهم. وقيل: مُهلِكُهم، دليلُه قولُه تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُم﴾ [يوسف: 66] أي: تهلكوا جميعًا)[4].

3- «**التيسير في التفسير**» لأبي حفص نَجمِ الدِّين عمر بن محمد **النَّسَفِيّ** (537هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4] نقلًا عنه[5]: (قيل: عشرةٌ مِنَ المَغرُورِينَ: مَن أيقنَ أنَّ اللهَ خالِقُه فلا يَعبُدُه، ومَن أيقنَ أنَّ اللهَ رازقُه فلا يطمئنُّ به، ومَن أيقنَ أنَّ الدُّنيا زائلةٌ فيعتمدُ عليها، ومَن أيقنَ أنَّ الورثة أعداؤه فيَجمَعُ لهم، ومَن أيقن أن الموتَ آتٍ فلا يستعدُّ له، ومَن أيقنَ أنَّ القبر منزلُه فلا يَعمره، ومَن أيقنَ أنَّ الديَّان يُحاسبه فلا يصحِّح حجَّته، ومَن أيقنَ أنَّ الصِّراط ممرُّه فلا يُخفِّفُ ثِقْله، ومَن أيقنَ أنَّ النار دارُ الفجَّار فلا يَهربُ منها، ومَن أيقنَ أنَّ الجنَّة دارُ الأبرار فلا يَعملُ لها)[6].

4- «**الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**» للإمام جار الله محمود بن عمر **الزَّمخشَرِيّ** (538هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21]: (قال الزمخشريُّ[7]: «فإن قلتَ: بِمَ انتصب «إذ»؟ قلتُ: لا يخلو إمَّا أنْ ينتصبَ بـ«أتاك» أو

(1) السمرقندي، أبو الليث، بحر العلوم، ج1/ص50.
(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص25-أ.
(3) البغوي، معالم التنزيل، ج1/ص70.
(4) الكحال، جهد المقل، ج1/ص38-ب.
(5) النسفي، أبو حفص، التيسير في التفسير، ج1/ص259.
(6) الكحال، جهد المقل، ج1/ص20-ب.
(7) الزمخشري، الكشَّاف، ج6/ص9.

بـ«النبأ» أو بمحذوفٍ، فلا يسوغ انتصابه بـ«أتاك» لأنَّ إتيان النَّبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلَّا في عهده، لا في عهد داود، ولا بـ«النبأ» لأنَّ النَّبأ الواقع في عهد داود لا يصحُّ إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردتَ بـ«النَّبأ» القصَّة في نفسها لم يكن ناصبًا، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديرُه: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم» فاختارَ أن يكون مَعمُولًا لمحذوفٍ)[1].

5- «**زاد المسير في علم التفسير**» للإمام أبي الفرج جمال الدين **ابن الجَوزيّ** (597هـ). قال المُصنِّف عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحِجر: 87]: (قال ابنُ الجوزيّ[2]: سببُ نُزُول هذه الآية: أنَّ سبعَ قوافل أقبلت مِن بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لَتَقَوَّينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ، وقال: قد أعطيتُكُم سبعَ آياتٍ هي خيرٌ مِن هذه السبع قوافل، ويدلُّ على صحَّة قولِه هذا قولُه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحِجر: 88] الآية)[3].

6- «**مفاتيح الغيب**» للإمام فخر الدِّين **الرازي** (606هـ). والمُصنِّفُ يَنقُلُ عنه دون ذِكر اسمِه، فمثلًا عند تفسير سورة الفاتحة رجَّح قولَ الرازي بأنَّ المغضوب عليهم هم الكفار، والضَّالين: هم المنافقون. قال الرازي: (الفائِدَةُ الأُولى: المَشهُورُ أنَّ المَغضُوبَ عَلَيهِم هُمُ اليَهُودُ، لِقَولِه تعالى: ﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 60] والضَّالِّينَ: هُمُ النَّصارى لِقَولِه تعالى: ﴿قَد ضَلُّوا مِن قَبْلُ وأضَلُّوا كَثِيرًا وضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] وقِيلَ: هذا ضَعِيفٌ، لِأنَّ مُنكِرِي الصَّانِعِ والمُشرِكِينَ أخبَثُ دِينًا مِنَ اليَهُودِ والنَّصارى، فكانَ الاحتِرازُ عَن دِينِهِم أَوْلى، بَلِ الأَولى أنْ يُحمَلَ المَغضُوبُ عَلَيهِم على كُلِّ مَن أَخطَأَ في الأعمالِ الظَّاهِرَةِ وهُمُ الفُسَّاقُ، ويُحمَلَ الضَّالُّونَ على كُلِّ مَن أَخطَأَ في الاعتِقادِ، لِأنَّ اللَّفظَ عامٌّ، والتَّقيِيدُ خِلافُ الأصلِ، ويحتملُ أنْ يُقالَ: المَغضُوبُ عَلَيهِم هُمُ الكُفَّارُ، والضَّالُّونَ هُمُ المُنافِقُونَ، وذلِكَ لِأنَّهُ تعالى بَدَأ بِذِكرِ المُؤمِنِينَ والثَّناءِ عَلَيهِم في خَمسِ آياتٍ مِن أوَّلِ البَقَرَةِ، ثُمَّ أَتبَعَهُ بِذِكرِ الكُفَّارِ وهو قَولُه: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 6] ثُمَّ أَتبَعَهُ بِذِكْرِ المُنافِقِينَ وهو قَولُه: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا﴾ [البقرة: 8] فكَذا هَهُنا بَدَأ بِذِكْرِ المُؤمِنِينَ وهو قَولُه: ﴿أنْعَمْتَ عَلَيهِم﴾ ثُمَّ أَتبَعَهُ بِذِكْرِ الكُفَّارِ وهو قَولُه: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِم﴾ ثُمَّ أَتبَعَهُ بِذِكْرِ المُنافِقِينَ وهو قَولُه: ﴿ولا الضَّالِّينَ﴾)[4].

وأحيانًا يُصرِّحُ باسمِه فيقولُ: (قال الرازي: أمراض القلب إمَّا مُتعلِّقةٌ بالدِّين، وهو سوء الاعتقاد أو الكفر، أو بالأخلاق، وهي إمَّا رذائل فعليَّة، كالغِلِّ والحسد، أو انفعالية كالضعف والجبن.. الخ)[5].

(1) الكحال، جهد المقل، ج7/ص23-أ.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير، ج4/ص345.
(3) الكحال، جهد المقل، ج4/ص301.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب، ج1/ص159.
(5) الكحال، جهد المقل، ج1/ص28-أ.

7- «**الجامع لأحكام القرآن**» للإمام أبي عبد الله شمس الدِّين **القُرطُبيّ** (671هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 9]: (وفي «القرطبي»[1]: وإنَّما قالوا هذا لأنَّ خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيده)[2].

8- «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» لقاضي القضاة ناصر الدِّين **البَيضاوِي** (685هـ). نَقَل المُصنِّفُ عنه ولم يُسمِّه فقال عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7]: (ذَكَر المعتزلةُ لهذه الآية وجوهًا من التأويل: الأول: أنَّ القومَ لمَّا أعرضوا عن الحقِّ وتمكَّنَ ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم، شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه. الثاني: أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن، أو قلوب مقدر ختم الله عليها، ونظيره: سالَ به الوادي إذا هلك. وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته. الثالث: أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر، لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب. الرابع: أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر، ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف، عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم. وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي. الخامس: أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولون مثل: ﴿قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلت: 5] تهكمًا واستهزاءً بهم [و] كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ﴾... الخ)[3].

وأحيانًا يُصرِّحُ باسمِه، قال عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 13]: (قال القاضي[4]: واستدلَّ به على قبول توبة الزنديق...)[5].

9- «**لباب التأويل في معاني التنزيل**» للعلامة علاء الدين المعروف بـ **الخازن** (741هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46]: (وفي «الخازن»[6]: ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلمتم من الآفات وحصل لكم الأمن والسلامة)[7].

10- «**الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون**» لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ **السمين الحلبي** (756هـ). قال المصنف عند تفسيرِ قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: 4]: (وفي

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9/ص130.
(2) الكحال، جهد المقل، ج4/ص69-أ.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/ص147.
(4) الكحال، جهد المقل، ج1/ص24-أ.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/ص174.
(6) الخازن، لباب التأويل، ج2/ص234.
(7) الكحال، جهد المقل، ج3/ص49-أ.

«السمين»[1]: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ في «كم» وجهان: أحدهما أنها في موضع رفع بالابتداء والخبر الجملة بعدها، ﴿ومِن قَرْيَةٍ﴾ تمييز، والضمير في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ عائدٌ على معنى «كم». وهي هنا خبرية للتكثير، والتقدير: وكثير من القرى أهلكناها، والثاني: أنها في موضع نصبٍ على الاشتغال بإضمار فعل يفسِّره ما بعده...)[2].

11- «**تفسير الجلالين**» للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد **المحلي** (864هـ) وأكمَلَه جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (911هـ). قال المُصنِّف عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7]: (أي: واجبًا لهم، والفرض ما فرضه الله تعالى فهو أوكد من الواجب، وقال الجلال[3]: مقطوعًا بتسليمه إليهم)[4].

12- «**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**» للعلامة الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني المعروف بـ **الخطيب الشربيني** (977هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ذلكَ الكتابُ لا رَيبَ فيه﴾ [البقرة: 2]: (قال الخطيبُ[5]: وقيل: إنَّه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنَّه في اللَّوحِ المحفوظِ بقوله: ﴿وإنَّه في أُمِّ الكتاب لدينا﴾ وقد كانﷺ أخبر أمته بذلك، فغير ممتنع أن يقول تعالى: ﴿ذلِكَ الكِتَابُ﴾ ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ)[6].

13- «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» للمولى **أبي السعود** محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (982هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿نَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]: (بيائين، أولاهما عين الكلمة والثانية لامها، والحاء فاؤها، وعبارة أبي السعود[7]: هذا شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق إثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب...)[8].

14- «**روح البيان**» للعلَّامة أبي الفداء **إسماعيل حقي** بن الشيخ مصطفى البروسوي الخلوتي (1127هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]: (قال في «تفسير روح البيان»[9]: قولُه: ﴿نَعْبُدُ﴾ يحتمل أن يكون من العبادة ومن العبودة، والعبادة هي العابدية

(1) السمين الحلبي، الدر المصون، ج7/ص69.
(2) الكحال، جهد المقل، ج3/ص3-أ.
(3) السيوطي، تفسير الجلالين، ص309.
(4) الكحال، جهد المقل، ج2/ص17-أ.
(5) الشربيني، الخطيب، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ج1/ص24.
(6) الكحال، جهد المقل، ج1/ص15-ب.
(7) العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/ص71.
(8) الكحال، جهد المقل، ج1/ص51-أ.
(9) حقي، إسماعيل، روح البيان، ج1/ص17.

والعبودة هي العبدية، فمن العبادة الصلاة بلا غفلة، والصوم بلا غيبة، والصدقة بلا منة، والحج بلا إراءة، والغزو بلا سمعة، والعتق بلا أذية، والذكر بلا ملالة، وسائر الطاعات بلا آفة، ومن العبودة الرضى بلا خصومة، والصبر بلا شكاية، واليقين بلا شبهة، والشهود بلا غيبة، والاقبال بلا رجعة، والايصال بلا قطيعة. اهـ ثمَّ قال: قال حُجَّة الإسلام: أقسام العبادة عشر: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وقراءة القرآن، وذكر الله في كل حال، وطلب الحلال، والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة، والتاسع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعاشر اتّباع السُّنَّة وهو مفتاح السعادة...)[1].

وأحيانًا ينقل عن تفسير «روح البيان» دون أن يُسمّيه فمثلًا: قال عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]: (قال أبو العباس[2]: المنعم عليهم هم طبقات: فالعارفون أنعم الله عليهم بالمعرفة، والأولياء أنعم الله عليهم بالصدق والرضى واليقين والصفوة، والأبرار أنعم الله عليهم بالحلم والرأفة، والمريدون أنعم الله عليهم بحلاوة الطاعة، والمؤمنون أنعم الله عليهم بالاستقامة...)[3].

15- «**حاشية الجمل على الجلالين**» المسمَّى: «**الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين**» للإمام سليمان بن عمر العجيلي المعروف بـ **الجمل** (1204هـ). قال المُصنِّفُ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ [ص: 8]: (إضراب عن مقدر فكأنه قال: إنكارهم للذِّكر ليس عن علمٍ، بل هم في شكٍّ منه اهـ)[4]. وقد أكثرَ المُصنِّفُ مِنَ النَّقلِ عنه[5].

هذه أهمُّ المصادر التي اعتمد عليها المصنف في التفسير، وهذا لا يعني أنه لم يعتمد على غيرها، فقد يظهر لغيري من الباحثين مصادر أخرى، ولكن كما قال المصنف: هذا جهد المقل.

3.3. ملامح من منهجه في التفسير:

ذَكَر المؤلِّفُ في مقدِّمة تفسيرِه: معنى التفسير، والفرق بين التفسير والتأويل، وموضوع علم التفسير، واستمداده، والعلوم التي يحتاج إليها المُفسِّر، وحَصَرَها في خمسة عشر عِلمًا، ثُمَّ انتقَلَ إلى الحديث عن الفصاحة والبلاغة والفرق بينهما، ومعنى الاستعاذة، وفضائل القرآن، ثُمَّ ذَكَر ما جاء في الوعيد لِمَن أوتي القرآنَ ونَسِيَه، ثُمَّ تَحَدَّث عن نزول القرآن والأحرف السبعة، ثُمَّ شرع في تفسير سورة الفاتحة.

ثُمَّ إنَّه يُصرِّحُ بذِكرِ المصادِرِ التي يَنقُلُ عنها، فيقولُ مثلًا: (قال في «تفسير روح البيان»). وبالمناسبة فالمُصنِّفُ يُكثِرُ النقلَ مِن «روح البيان» وأحيانًا بدون أن يُصرِّحَ بذلك، فيقولُ: قال بعضُ المُفسِّرين.

(1) الكحال، جهد المقل، ج1/ص12-ب.

(2) هو ابن عطاء الله السكندري، كما صرح في «تفسير روح البيان».

(3) حقي، إسماعيل، روح البيان، ج1/ص18.

(4) الكحال، جهد المقل، ج7/ص8-ب.

(5) الجمل، سليمان العجيلي، حاشية الجمل-الفتوحات الإلهية، ج6/ص371.

مثالُه: (وقالَ بعضُ المُفسِّرينَ: ﴿يَعمَهُونَ﴾ أي: يترددون في الضلالة متحيرين عقوبة لهم في الدنيا لاستهزائهم).

يَذكُر في البداية أسماء السورة، وهل هي مكية أم مدينة، وعدد آيات السورة، والأحاديث الواردة في فضائلها، ويذكر ترجيحاته في علوم القرآن في ثنايا ذلك، ففي المقدمة رجَّح أنَّ الأحرف السبعة هي سبع قراءات، وفي سورة البقرة رجَّح أنَّ أسماء السُّور توقيفيَّة، وكذلك ترتيبها وترتيب الآيات في السورة كله توقيفي. ويذكر الخلاف بين المكي والمدني والراجح فيه[1].

والشيخ عند نقله لأقوال الصحابة والتفسير بالمأثور بنحوٍ عامٍّ لا يَذكُرُ الأسانيد، فمثلًا قال: (قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]: قاضي يوم الحساب)[2].

ورُبَّما يبدو للناظر في تفسير «جهد المقل» للمرَّة الأُولى أنَّه تفسير كباقي كتب التفسير، لكن المتأمِّل فيه يجد أنه احتوى على تحقيقات علميَّة وفوائد جليلة لم توجد في غيره مِن كتب التفسير، إضافة إلى أنه يساعد على التفكر والتأمُّل والتدبُّر، ومِنَ الملامح العامة للمنهج في هذا التفسير:

أولًا: أسباب النزول:

المصنف ﵀ يهتم بإيراد أسباب نزول الآيات، بل ويكثر من ذلك، فالمصنف ﵀ يرى أنَّ مِنَ العلوم التي يحتاج إليها المُفسِّر (معرفة أسباب النزول)، فيقول في مقدمة التفسير: (واعلَم أنَّ جملة العلوم التي يحتاج إليها المفسر خمسة عشر عِلمًا؛ أحدُها: اللُّغة، الثاني: النحو، الثالث: التصريف، الرابع: الاشتقاق، الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع، الثامن: علم القراءات، التاسع: أصول الدين، العاشر: أصول الفقه، الحادي عشر: أسباب النزول)[3].

وسنكتفي بذكر ثلاثة أمثلة على ذلك:

1- عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن أَهلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤمِنُ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: 199] قال المُصنِّف: (نَزَلت في ابنِ سلامٍ وأصحابه، أخرجه ابنُ جَرِيرٍ عن ابن جريج، وقيل: بأربعين من نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، كانوا نصارى فأسلموا، وقال ابنُ عبَّاسٍ فيما أخرجه النسائيُّ من حديث أنسٍ وابنُ جَرِيرٍ عن جابرٍ: نزلت في النجاشي ملك الحبشة[4]، اسمه أصحمة بالحاء المهملة، والحبشة يقولون بالخاء المعجمة... وهو بالعربية عطية، وذلك أنَّه لمَّا مات أخبر جبريلُ النبيَّ ﷺ في اليوم الذي مات فيه بموته، فقال النبي ﷺ: أخرجوا فصلوا على أخٍ لكم مات بغير أرضكم النجاشي، فخرج إلى البقيع، وكشف

(1) ممكن أن تدرس ترجيحاته في علوم القرآن في بحث مستقلٍّ.

(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص10-أ.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص1-ب.

(4) الواحدي، أسباب النزول، ص93، السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص52.

الله له أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه، قال المنافقون: انظروا إلى هذا يُصلِّي على عِلجٍ نصرانِيٍّ حبشيٍّ لم يره قطُّ وليس على دينه! فأنزل اللَّه هذه الآية)[1].

ثُمَّ قال المُصنِّفُ: (تنبيهٌ: استدلَّ به على جواز الصلاة على الغائب، وبه قال الشافعيُّ وأحمدُ وجمهورُ السَّلف، وقال ابنُ حزمٍ لم يأتِ عن أحدٍ مِنَ الصحابة منعه، وأجابَ القائلون بالمنع وهم الحنفيَّةُ والمالكيَّةُ عن قصَّة النجاشي أنَّه كان بأرضٍ لم يُصَلِّ عليه أحدٌ، فتعيَّنت الصلاةُ عليه لذلك، أو أنَّه خاصٌّ بالنجاشي، لإرادة إشاعةِ أنَّه مات مُسلِمًا أو استئلافِ قلوبِ المُلُوك الذين أسلموا في حياتِه، فليس ذلك لغيره، أو أنَّه كشف له ﷺ حتى رآه ولم يره المؤمنون، وتعقَّبه ابنُ دَقيقِ العيد بأنَّه يحتاج إلى نَقلٍ، ولا يَثبُتُ بالاحتمال)[2].

2- عند قوله تعالى: ﴿وَآتُوا اليَتَامَى أَموَالَهُم﴾ [النساء: 199] قال المُصنِّفُ: (نَزلت في رَجُلٍ مِن غَطَفان[3]، كان مَعَه مالٌ كثيرٌ لابن أخٍ له يتيمٍ كان في حجره، فلمَّا بَلَغ اليتيمُ طَلَب المالَ الذي له، فمَنَعَه عمُّه، فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فلمَّا سمعها العمُّ قال: أطعنا الرَّسُولَ، نَعوذُ باللهِ مِن الحُوبِ الكبير. ودَفَع إلى اليتيمِ مالَه، فقال النبيُّ ﷺ: «مَن يُوقَ شُحَّ نَفسِه ويُطِع ربَّه هكذا فإنَّهُ يحل دارَه» أي: جنَّته، فلمَّا قَبَض الصبيُّ مالَه أنفقه في سبيل الله، فقال ﷺ: «ثَبَت الأجرُ، وبقي الوِزرُ». فقالوا: كيف ثَبَتَ الأجرُ وبقي الوِزرُ؟ فقال: «ثَبَت الأجرُ للغلام، وبَقِي الوِزرُ على أبيه»)[4].

3- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَينَاكَ المُستَهزِئِينَ﴾ [الحجر: 95] قال المُصنِّفُ: (والجمهور على أنها نزلت في خمسةِ نفرٍ ذوي شأن وخطر كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ، والاستهزاء به، فأهلكهم الله في يومٍ واحدٍ، وكان هلاكهم قَبلَ بَدرٍ، منهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص، والحارث بن القيس بن الطلاطلة، والأسود بن المطلب بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة)[5].

ثانيًا: فضائل السور:

يَذكُر الأحاديثَ الواردة في فضائل السور، ويُنبِّهُ على الأحاديث الموضوعة في فضائل السور _ومعلومٌ أنَّ ما صحَّ في فضائلِ السُّورِ قليلٌ_ قال المُصنِّف في سورة البقرة: (قال ابنُ العربي: في البقرة ألفُ أمرٍ، وألفُ نهيٍ، وألفُ حُكمٍ، وألفُ خَبَرٍ، وإذا قُرِئت في بيتٍ لم تَدخُله الشياطينُ ثلاثةَ أيَّامٍ[6]. وعنه ﷺ: «لَا

(1) الكحال، جهد المقل، ج1/ص598-ب.

(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص599-أ.

(3) قيل: اسمُه المنذر بن رفاعة. ينظر: ابن سليمان، مقاتل، التفسير، ج1/ص356.

(4) الكحال، جهد المقل، ج2/ص4-أ. قلتُ: بقي الوزر على أبيه لأنه كان مُشرِكًا.

(5) الكحال، جهد المقل، ج4/ص306-أ.

(6) أخرجه ابن حبان في صحيحه (780) من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكُلِّ شيءٍ سنامًا، وإنَّ سنام القرآن سورة البقرة، مَن قرأها في بيته ليلًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال، ومَن قرأها نهارًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام». وإسنادُه ضعيفٌ. وروى الترمذيُّ في سننه (2882) وصحَّحهُ من حديث النعمان بن بشيرٍ عن النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بألفَي عامٍ، أنزَلَ مِنهُ آيَتَينِ خَتَمَ بِهِما سُورَةَ البَقَرَةِ، ولا يُقرَآنِ في دارٍ ثَلاثَ لَيالٍ فيَقرَبُهَا شَيطَانٌ».

تَجعَلُوا بُيُوتَكُم مَقابِرَ، إنَّ الشَّيطَانَ يَفِرُّ مِنَ البَيتِ الَّذِي تُقرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ»[1]. وقال أيضًا[2]: «لكلِّ شَيءٍ سَنامٌ وسَنامُ القُرآنِ سُورَةُ البَقَرةِ، وفيها آيةٌ هي سيِّدةُ آي القرآن: آية الكرسي»[3].

والمُصنِّفُ ﷺ يُنبِّهُ على الأحاديث الموضوعة في فضائل السور، وهذه إيجابية من إيجابيات هذا التفسير، فمثلًا في نهاية سورة آل عمران يقول: (عنِ النبيِّ ﷺ: «مَن قرأ سورة آل عمران أُعطِيَ بكُلِّ آيةٍ منها أمانًا على جسر جهنم») ثُمَّ يَقُولُ: (هذا الحديثُ مِنَ الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة بسورة) ثُمَّ قال: (ينبغي أن يكون مِنَ الكذب عليه ﷺ رواية الحديث بلا مُسوِّغٍ شرعيٍّ)[4].

أقولُ: قال العلماء: رواية الحديث الموضوع للتحذير منه أمرٌ جائزٌ بل مستحبٌّ أحيانًا.

كما أنَّ المُصنِّفَ أحيانًا يُبيِّنُ ضَعفَ السَّند، فمثلًا: ذَكَر عقيب حديث: «مَن قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران صلى الله عليه والملائكة حتى تطلع الشمس»: (رواه الطبراني بسندٍ ضعيفٍ)[5].

ثالثًا: مفردات القرآن:

والمُصنِّف يُكثِرُ النَّقلَ عن «تفسير الجلالين»، ولذلك نجده يتوسَّع في تفسير المفردات، فعند قولِه تعالى: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيهِ الذِّكرُ مِن بَينِنَا﴾ [ص: 7] يقولُ: (﴿عليه﴾ على مُحمَّد ﴿الذِّكر﴾: القرآن)[6]. وعند قولِه تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَنَا قِطَّنَا قَبلَ يَومِ الحِسَابِ﴾ [ص: 16] قالَ: (﴿عَجِّل لَنَا قِطَّنَا﴾ كتابَ أعمالنا. «الجلال»[7].. وفي «السَّمين»[8]: قولُه: ﴿قِطَّنَا﴾ أي: نَصِيبَنا وحظَّنا.. وقال القاضي[9]: ﴿قِطَّنَا﴾ قِسطَنا مِنَ العذاب الذي توعدنا به)[10].

وأحيانًا عند تفسير المفردات يأتي بغير الشائع والمشهور[11]، فمثلًا: في سورة الفاتحة: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] قال: (﴿المغضوب عليهم﴾ أي: الذين غضب الله عليهم والمرادُ بهم العُصاةُ، وهم كلُّ مَن أخطأ في الأعمال الظاهرة، وهم الفُسَّاقُ[12]. ﴿الضالِّين﴾: كلُّ مَن أخطأ في الاعتقاد)، ثُمَّ قال:

---

(1) الحديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه (780) من حديث أبي هريرة.

(2) حديث: «لكل شيء سنام...» أخرجه الترمذي في سننه (2878)، وقال: هذا حديث غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص14-ب.

(4) الكحال، جهد المقل، ج1/ص101-ب.

(5) الكحال، جهد المقل، ج1/ص101-ب.

(6) الكحال، جهد المقل، ج7/ص7-أ.

(7) يريد تفسير الجلالين.

(8) أي: السمين الحلبي في الدر المصون.

(9) أي: البيضاوي في أنوار التنزيل.

(10) الكحال، جهد المقل، ج7/ص14-ب.

(11) لم يذكر المصنف نسبة هذا القول، وبعد البحث تبين أن هذا القول رجحه الرازي في تفسيره.

(12) ذكر الطبري في تفسير المغضوب عليهم آثارًا كثيرة، منها: عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «المغضوب عليهم: اليهود». ومنها أيضًا: عن عبد الله بن شقيق أنَّ رجلًا أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر وادي القرى فقال: مَن هؤلاء الذين تحاصر يا رسول الله؟ قال: «هؤلاء المغضوب عليهم: اليهود». الطبري، جامع البيان، ج1/ص185. قلتُ: اختارَ الشيخ عبد الرحمن في تفسير الآية التوسع في المعنى، فقال: (الذين غضب الله عليهم والمراد بهم العصاة، وهم كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق)، ولو أنه قال: المغضوب عليهم هم اليهود ويدخل في هذا المعنى العصاة والفساق، كان أَولى؛ لأن أعلى أنواع التفسير هو تفسير القرآن بالسنة، والله أعلم.

(أو المغضوب عليهم هم الكُفَّار، والضَّالُّون هم المنافقون الذين استولى عليهم الشيطان حتى قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فصاروا ضالين)[1].

وفي سورة البقرة: ﴿أَو كَصَيِّبٍ﴾ قال المُصنِّفُ: (قال القاضي: الصَّيِّبُ يُقالُ للمطر والسحاب. ثُمَّ يؤيد تفسيره هذا ببيتٍ مِنَ الشِّعر، قال الشَّمَّاخُ:

..... وأَسحَمَ دانٍ صادِقِ الوَعدِ صَيِّبِ[2].

و«الأسحمُ» هو السحاب الأسود، و«دانٍ» قريب مِنَ الأرض[3].

رابعًا: اللغة والبلاغة والمناسبات:

يهتم الشيخ الكحال في تفسيره بإيراد اللطائف اللغوية، والنكت البلاغية، ويذكر المناسبات للآيات والسور.

- **فمِنَ الأمثلة اللغوية**: قولُه عند تفسير قولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]: (﴿بِالغَيبِ﴾ الباءُ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ وَقَع حالًا مِنَ الفاعلِ، أي: يؤمنون متلبسين بالغيب، أي: غائبين عن المؤمنين..)[4]. ثُمَّ قال: (﴿وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ الرِّزق: اسمٌ لِمَا يُنتَفَعُ به مِن مالٍ ووَلَدٍ، و«الرزق» بالكسر والفتح مصدرٌ بمعنى إعطاء الحظ لغة، والعرفُ خَصَّصَه بما يُنتَفَعُ به)[5].

وقولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَو كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعدٌ وَبَرقٌ يَجعَلُونَ أَصَابِعَهُم فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوتِ﴾ [البقرة: 19]: (﴿يَجعَلُونَ أَصَابِعَهُم﴾ أي: أناملها، فإطلاقُ الأصابع على الأنامل مبالغةٌ، فهو مِن أنواع المجاز اللغوي، وهو مِن إطلاق الكُلِّ على الجُزء، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغةً في الفرار مِن شدَّة الصوت، فكأنهم جعلوا الأصابع جميعها في آذانهم مِن شدَّة حيرتهم وفرط وحشتهم[6].. ﴿حَذَرَ المَوتِ﴾ حَذَر: خَوفَ، وهو إمَّا مفعولٌ مِن أجلِه أو مصدرٌ)[7].

---

(1) قال الطبري: ﴿ولا الضالين﴾ النصارى، ثم توسع الطبري في معنى الآية فقال: (كل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضالٌّ عند العرب لإضلاله وجه الطريق، فلذلك سمى الله جل ذكره النصارى ضلالًا لخطئهم في الحق منهج السبيل، وأخذهم من الدين في غير الطريق المستقيم). الطبري، جامع البيان، ج1/ص195. قلتُ: وكذلك كان الأَولى في تفسير الشيخ عبد الرحمن أن يصنع كما صنع الطبري، بأنْ يذكر أوَّلًا ما دلَّت عليه السُّنة من تفسير الضالين بالنصارى، ثم لا بأس إن ذكر شمولها كلَّ مَن ضلَّ وانحرف في العقيدة.

(2) هذا عجز البيت، وصدرُه: محا آيه نسج الجنوب مع الصبا. اطفيش (محمد بن يوسف)، تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد، ج1/ص139.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص37-أ.

(4) الكحال، جهد المقل، ج1/ص17-ب.

(5) الكحال، جهد المقل، ج1/ص19-أ.

(6) الكحال، جهد المقل، ج1/ص38-أ.

(7) الكحال، جهد المقل، ج1/ص38-ب.

- **ومن الأمثلة البلاغية**: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]: (فلو قال: «إياك أعبد» لكان عبادة عن نفسه فقط، بخلاف «نعبد» فإنه لجميع المسلمين شرقًا وغربًا، فكأنَّه سعى في إصلاح مهمات سائر المسلمين، وإذا فعل ذلك قضى الله مهماته، لقوله ﷺ: «مَن قَضَى لِمُسلِمٍ حاجةً قَضَى اللهُ له جميع حاجاته»[1]، وأيضًا إذا قال: «نعبد» فقد عرض على حضرة الله جميع عبادات العابدين فلا يليق بكرمه أن يميز البعض عن البعض، فإمَّا أن يَرُدَّ الكُلَّ وهو غيرُ جائزٍ، لأنَّه دَخَل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾ عبادة الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة السلام، وإمَّا أن يَتَقبَّلَ الكُلَّ، فحينئذٍ تكون عبادة هذا القائل مقبولة ببركة قَبُولِ عبادة غيره)[2].

وقولُه عند تفسير قولِه تعالى: ﴿صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لَا يَرجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]: (وفي «القاضي»[3] و«حواشيه»: ﴿صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ﴾ لمَّا سَدُّوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحقِّ وأَبَوا أنْ ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم، جُعِلُوا كأنما أيفت[4] مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله:

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيرًا ذُكِرتُ بهِ وإن ذُكِرتُ بسوءٍ عندَهُم أذنوا

وقبل هذا البيت:

إن يسمعوا رِيبةً طاروا بها فرحًا منّي، وما سمِعوا من صالحٍ دفنوا

وكقوله:

أَصَمُّ عن الشيءِ الَّذي لا أُريدُهُ وأسمَعُ خَلقِ الله حينَ أُريدُ

وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل، لا الاستعارة إذ مِن شرطها أن يطوي ذكر المستعار له، بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة، كقول زهير:

لَدَى أسدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظفَارُه لم تُقَلَّمِ)[5].

ومن الأمثلة على المناسبات:

أ- المناسبات بين الآيات:

قولُه عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]: (واعلَمْ[6] أنَّ العبوديَّةَ ذِلَّةٌ ومهانةٌ، إلَّا أنَّه كُلَّما كان المولى أشرف وأعلى كانت العبودية أهنأ وامرأ، ولمَّا كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها فكانت عبوديته أَوْلى مِن عبودية غيرِه قطعًا، وأيضًا قُدرَتُه تعالى أعلى مِن قدرة غيرِه، وعِلمُه أكملُ

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج1/ص201. ولم أقف على الحديثِ بهذا اللفظ، والثابت قولُه ﷺ: «مَن كانَ في حاجةِ أَخِيهِ كانَ اللهُ في حاجتِهِ». أخرجه الشيخان، صحيح البخاري (2442) صحيح مسلم (2580) .

(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص12-ب. الرازي، مفاتيح الغيب، ج1/ص209.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1/ص195.

(4) من الآفة وهي العاهة والمرض. ينظر: الشهاب الخفاجي، حاشية على البيضاوي، ج1/ص379.

(5) الكحال، جهد المقل، ج1/ص36-أ.

(6) هذه المناسبة ذكرها الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، ج1/ص209.

مِن عِلمِ غيرِه، وجُودُه أفضلُ مِن جُودِ غيرِه، فوَجَب القطعُ بأنَّ عبوديته أَوْلى مِن عبودية غيرِه، فلهذا السبب قال: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾)[1].

ب- مناسبات السور:

لا يلتزم المُصنِّفُ بذِكرِ المناسبات بين السور، فمثلًا: لم يَذكُر مناسبةَ ورود سورة آل عمران عقب البقرة، ولا النساء عقب آل عمران. وذَكَر مثلًا: مناسبة سورة الطور لسورة النجم، فقال في نهاية سورة الطور عند قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾: (وفي ختم هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الثانية بالنجم أيضًا مِن حسن الانتهاء والابتداء، وفيها مِنَ الأسرار ما لا يخفى على أهل التحقيق)[2].

خامسًا: القراءات القرآنية:

اهتمَّ الشيخ الكحال بذِكرِ اختلافِ القراءات القرآنية، ومِن خلال الاستقراء لبعض المواضع تبيَّن أنه يعتمد في تفسيره قراءةَ حفص عن عاصم السائدة في بلاد الشام منذ عصره، ويذكر الخلاف الوارد في الآية مع باقي القراءات العشر، فمثلًا: عند قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]: قال: ((﴿مَالِكِ﴾ وقرئ ﴿مَلِكِ﴾))[3]. وعند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124] قال: (وقُرِئ: ﴿رِسَالَاتِهِ﴾)[4].

وأحيانًا يُوَجِّه بعضَ القراءات لُغَويًّا فقط، فمثلًا: عند قوله تعالى: ﴿لَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ [آل عمران: 188] قالَ: ((﴿لَا تَحسَبَنَّ﴾ بالتاء والياء سبعيتان[5]، والفاعل على الأُولى ضمير المخاطب، و«الذين» مفعول أول، والثاني تقديرُه: بمفازةٍ مِنَ العذاب، وعلى الثانية: الفاعل «الذين»، والمفعولان مقدران، أي: أنفسهم بمفازة من العذاب)[6].

والملاحَظُ مِن خلال التتبُّع أنَّ منهج الشيخ عدمَ التوسُّع في ذِكرِ القراءات وتوجيهها، وإنَّما يَذكُرُ الخلافَ في القراءات المتواترة باختصارٍ شديدٍ، وفي مواضع محدودة، فمثلًا: اكتفى في الاختلافِ المَشهُورِ في قولِه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ﴾ [النساء: 1] بقولِه: ((والأرحام﴾ بالنَّصبِ والخَفضِ)، ولم يتعرَّض لتوجيهه مِن قريبٍ أو بعيدٍ.

(1) الكحال، جهد المقل، ج1/ص12-أ.

(2) الكحال، جهد المقل، ج8/ص175-ب.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص10-أ. و﴿مَالِكِ﴾ على وزن فاعل، وهي قراءة عاصم والكسائي وخلف، وقرأ السبعة الباقون ﴿مَلِكِ﴾ بحذف الألف، وذكر أبو حيان فيها ثلاث عشرة قراءة، ما بين متواترٍ وشاذٍ. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1/ص134-136.

(4) الكحال، جهد المقل، ج2/ص409-ب. وقرأ حفص وابن كثير ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بالإفراد، وقرأ باقي السبعة ﴿رِسَالَاتِهِ﴾ بالجمع. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج4/ص219.

(5) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج3/ص143-144.

(6) الكحال، جهد المقل، ج1/ص589-أ.

وأحيانًا يذكر القراءات الشاذَّة: مثالُه: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿تِلكَ إِذًا قِسمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: 22]: (وقَرَأَ زيدُ بنُ عَلِيٍّ: «ضيزى» بفتح الضاد والياء الساكنة)[1].

سادسًا: الأحكام الفقهية:

يَعرِضُ الشيخ الكحال ﷺ في تفسيره الأحكام الفقهية (وهو شافعي المذهب)، ويذكر الأدلة وثمرة الخلاف، ولكنه لا يتوسَّع في مناقشة الأدلة، كما في كُتُب أحكام القرآن، وإنما يذكر الخلاف الفقهيَّ على سبيل الإجمال.

فمثلًا: ذكر في نهاية تفسير سورة الفاتحةِ حُكمَ قراءة الفاتحة في الصلاة، فقال: (تتمَّةٌ: حكمُ الفاتحة: ذهب الشافعيُّ ومالكٌ وأحمدُ وجمهورُ العلماء إلى وجوبها في الصلاة، ولا تجزئ الصلاةُ إلَّا بها، واحتجُّوا بحديث: «لا صلاةَ لِمَن لَم يَقرَأ بفاتحةِ الكِتابِ»[2]. وذهبَ أبو حنيفة إلى أنها لا تتعيَّنُ على المُصَلِّي، بل الواجبُ عليه قراءة آيةٍ مِنَ القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار، واحتجَّ بقوله: ﴿فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ [المزمل: 20])[3].

وقولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]: ((ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جمعُ «قَرءٍ» بفتح القاف[4]، وهو الطُّهر أو الحيضُ، قولان، الأولُ للشافعي، والثاني لأبي حنيفة ومالك، وفائدةُ الخلاف: تَظهَرُ فيما إذا شرعت المعتدة في الحيضة الثالثة، فمَن يَجعَلُ القُرءَ الطُّهرَ، يرى انقضاءَ عِدَّتها حينئذٍ، ومَن يَجعَلُه الحيضَ، يَقُولُ: لا تنقضي عِدَّتها حتى تنقضي الحيضة الثالثة)[5].

وقولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَو لَامَستُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: 43]: (أي: جامعتموهنَّ، كذا عن عليٍّ ﷺ وابن عباس، وقرئ بالألف ودونها، وكلاهما بمعنى اللمس، وهو الجَسُّ باليَدِ، قالَه ابنُ عُمرَ، وعليه الشافعيُّ، وأُلحِقَ به الجَسُّ بباقي البَشَرَة، قال ابنُ عبَّاسٍ: «إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يُكنِّي عنِ الجِماع بالملامسة»، وبعضُهم قال: هو كنايةٌ عنِ التقاء البشرتين سواء كان بجماعٍ أبو بغير جماعٍ، وهو قولُ ابنِ مَسعُودٍ وابنِ عُمَرَ، فإذا أفضى الرجلُ بشيءٍ مِن بَدَنِه إلى شيءٍ مِن بَدَن المرأة ولا حائلَ بينهما؛ انتقضَ وضوؤهما، وبه قال الشافعيُّ، وعند مالكٍ والليث: إن كان اللمسُ بشهوةٍ ينتقض الوضوء، وإلَّا فلا، وقال أبو حنيفة: ينتقض الوضوء بشرطِ الانتشارِ، فإنْ حَصَل باللمس انتشار نقض، وإلَّا لا ينقض[6]، وقال ابنُ عبَّاسٍ والحَسَنُ والثوريُّ: لا ينقض بحالٍ)[7].

---

(1) الكحال، جهد المقل، ج8/ص9-أ.

(2) أخرجه الشيخان، صحيح البخاري (756)، صحيح مسلم (394).

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص14-ب.

(4) قال ابن منظور: (فالمُفْردة بفتح القاف وتجمع على أَقْراءٍ وقُروءٍ وهو مِن الأضداد). ابن منظور، لسان العرب، ج1/ص128.

(5) الكحال، جهد المقل، ج1/ص320-أ.

(6) قلتُ: مذهب الحنفية _فيما أعلم_ أنَّ لَمسَ المرأة لا ينقض الوضوء، لكن المصنف هنا جعل اللمس بشهوة ينقض الوضوء عند أبي حنيفة، وهذا الإشكال وضَّحه الجصاص في أحكام القرآن، فقال: (فإن قيل: قد أوجب أبو حنيفة الوضوء على من باشر امرأته وانتشرت آلته وليس بينهما ثوب ولا فرق بين مسها بيده وبين مسها ببدنه، قيل له: لم يوجب أبو حنيفة ههنا الوضوء بالمباشرة وإنما أوجبه إذ التقى الفرجان من غير إيلاج كذلك رواه محمد عنه، وذلك لأنَّ الإنسان لا يكاد يبلغ هذه الحال إلَّا ويخرج منه شيء وإن لم يشعر به، فلما كان الغالب في هذه الحال خروج شيء منه وإن لم يشعر به أوجب الوضوء له احتياطًا). الجصاص، أحكام القرآن، ج4/9-10.

(7) الكحال، جهد المقل، ج2/ص64-ب.

سابعًا: مقاصد السوروربط الآيات بالو اقع:

يهتم الشيخ عبد الرحمن الكحال بذكر مقاصد السور _وهذا ما لفت انتباهي كثيرًا في تفسيره_ إذ لم يكن شائعًا في زمنه التفسير المقاصدي للآيات والسور، وهذا سبقٌ مِن الشيخ عبد الرحمن ورَدٌّ على مَن يقولُ: إنَّ التفسير المقاصدي جاء به المعاصرون، بل إنَّ بوادرَه كانت موجودةً قبلهم، ولا أَدلَّ على ذلك مِن كلام الشيخ عبد الرحمن في مطلع سورة النحل، يقولُ: (وتسمى سورة النعم، والمقصودُ مِن هذه السورة: الدلالةُ على أنه تعالى تامُّ القُدرَةِ والعِلم، فاعلٌ بالاختيار، مُنزَّهٌ عن شوائب النقص، وأدلُّ ما فيها على المعنى: أمر النحلة، لما ذكر مِن شأنها في دقَّة الفهم من ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها، وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضارة، وغير ذلك من الأمور ووسمها بالنعم)[1].

ومن الأمثلة على ربط الآيات بالو اقع: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيهِم إِذ يُلقُونَ أَقلَامَهُم أَيُّهُم يَكفُلُ مَريَمَ﴾ [آل عمران: 44]: (حُكِي أنَّ أُمَّ بعضِهم[2] كانت مِنَ العابدات القانتات، وكان ابنُها مِن أكابر الفُضَلاء، وكان يحيي العشر الأخيرة مِن رمضانَ ليدرك ليلة القَدر، ومِن دَأبِه الملازمة للصلاة فوق البيت، وكانت والدته متوجهة لله تعالى في البيت، فليلة أخذت أنوار ليلة القدر تظهر نادت ابنها أنَّ الذي تطلبه هو عندنا، فنزل ورأى الأنوار فخرَّ على قدم أُمِّه، وكان يقولُ: علمتُ قدرَ والدتي منذ شاهدت. فهذه حالُ امرأة، انظر كيف أرشدت ابنها، وكيف فاقت عليه بالفضل والشرف، مع كثرة رياضته واجتهاده، فظهر أنَّ مِنَ النساء مَن هي أفضلُ مِنَ الرجال وذلك بحسن الطاعة والوصول إلى جناب القدس، ﴿قُل إِنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ... وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ [آل عمران: 73. 74].

ثم يقول: (نعوذ بالله من نساء زماننا فلا يرى فيهن مَن هي مِن أهل التقوى والديانة، يقول ﷺ: «صِنفَانِ مِن أهلِ النَّارِ لم أرهما _يعني: في عصره لطهارة ذلك العصر بل حدثنا بعده_ قَومٌ مَعَهُم سِيَاطٌ كَأَذنَابِ البَقرِ يَضرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»[3][4].

ثامنًا: مسائل العقيدة والدخيل في التفسير:

تفسير الشيخ الكحال يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وبالتالي فهو يتعرض في تفسيره لمسائل الاعتقاد، فيتحدث عن الإيمان بالمغيبات التي تحدَّث عنها القرآن، ويتحدث عن أشراط الساعة، وكذلك الفرق كالمعتزلة وغيرهم، وسنذكر بعض الأمثلة التي توضح موقفه ممَّا سبق.

---

(1) الكحال، جهد المقل، ج4/ص308-أ.

(2) قال صاحب تفسير روح البيان: (هي «أم محمد» والدة الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف رحمهما الله تعالى، كانت من العابدات القانتات). حقّي، روح البيان، ج2/ص34.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (4087).

(4) قلتُ: فكيف لو رأى الشيخ حالَ نساء زماننا؟! نسألُ الله السلامة والعافية، ونعوذُ به مِنَ الفِتَن.

فمثلًا: قالَ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ﴾ [البقرة: 3]: ((الَّذِينَ يُؤمِنُونَ﴾ يصدقون؛ لأنَّ الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، وأمَّا في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة أنه دِينُ مُحمَّد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء، ومجموعه ثلاثة أمور: التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فمَن أخلَّ بالاعتقاد وحدَه فهو منافقٌ، ومَن أخلَّ بالإقرار فكافرٌ، والمراد به الإقرار بالشهادتين باللسان، فهو كافر مُخلَّدٌ في النار مِن حيثُ تركه مع القدرة عليه، كما نقله النوويُّ عن أهل السُّنَّة، لكن اختارَ جمعٌ مُحقِّقُونَ أنه مِن أهل الجنة، وتركه التلفظ معصية فقط، لأن قلبه مملوء بالتصديق، فكيف يُخَلَّدُ والكلام فيمن يمتنع جحودًا وإنكارًا، وإلَّا كان كافر إجماعًا))[1].

وقالَ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7]: (ذكر المعتزلة لهذه الآية وجوهًا من التأويل: **الأول**: أنَّ القومَ لمَّا أعرضوا عن الحقِّ وتمكَّن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه، **الثاني**: أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن، **الثالث**: أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان، **الرابع**: أن أحوالهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والإكراه والقهر، فإنه سد لإيمانهم، وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي، **الخامس**: أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: 5]، تهكُّمًا واستهزاءً. فإنَّ الكفار كانوا يقولون قبل البعثة: لا ننفكُّ ممَّا نحن فيه مِن ديننا حتى يُبعَثَ النبيُّ الموعود به، **السادس**: أن ذلك في الآخرة، وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقُّقه وتيقُّن وقوعه، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97]، **السابع**: أن المراد بالختم وسمٌ قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة، فيبغضونهم وينفرون عنهم، وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما))[2].

ومن الأمثلة العقدية: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿يَومَ يَأتِي بَعضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 158]: (وهي طلوع الشمس مِن مغربها). ثُمَّ قال: (أول الآيات ظهور الدجال، ثم ظهور عيسى ﷺ، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها، وهي أول الآيات العظام). ثُمَّ قال: (ومِن أشراط الساعة خروج القحطاني، ففي «صحيح البخاري» مسندًا، عن أبي هريرة ﷺ: «لا تَقُومُ الساعةُ حتى يَخرُجَ رَجُلٌ مِن قحطانَ يَسُوقُ الناس بعَصاهُ»[3]. قال القسطلاني: روى أبو نعيم بن حماد في «الفتن» أنَّ

(1) الكحال، جهد المقل، ج1/ص456-ب.
(2) الكحال، جهد المقل، ج1/ص16-ب.
(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص24-أ.

القحطاني يخرج بعدَ المهدي)[1]. واستطردَ المُصنِّفُ في هذا المسألة كثيرًا، لكني نقلت ما يتعلق بالشاهد فقط، وهو حديثه عن أشراط الساعة.

الدخيل في التفسير عند الشيخ الكحال:

تفسير الشيخ الكحال يُعدُّ مِنَ التفاسير المُطوَّلَة، فعِدَّتُه ثمانية أجزاء، فلا غرابة أن يَدخُلَه بعض الاستطرادات التي لا علاقة لها بالتفسير، مثل: القصص، والاسرائيليات، وإشارات الصوفية، وسنذكر بعض الأمثلة التي تُوَضِّح ذلك:

فمِنَ الأمثلة على الاستطراد بذكر القصص: عند قولِه تعالى: ﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، قال المُصنِّف: (لا بُدَّ من الفرق بين المُحسِن والمُسِيء، والمطيع والعاصي، والموافق والمخالف، وذلك لا يظهر إلَّا في يوم الجزاء، فتجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى، فإنَّ الظالم إذا لم ينتقم منه فذلك إما للعجز أو للجهل، أو لكونه راضيًا بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاثة محال على الله تعالى، فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين، ولمَّا لم يحصل هذا الانتقام في الدنيا، وَجَب أن يحصل في الآخرة، وهو المرادُ بقوله: ﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ وهو الحاكم العادل. رُوِي[2]: أنَّه يُجاءُ برَجُلٍ يوم القيامة فينظر في أحوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة فيأتيه النداء، يا فلان ادخل الجنة بعملك، فيقول: إلهي، ماذا عملت؟ فيقول الله تعالى: ألست لما كنت نائمًا تقلبت من جنب إلى جنب ليلة كذا فقلتَ في خلال ذلك: «الله» ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ذلك؟ أما أنا فلا تأخذني سِنَةٌ ولا نَومٌ، فما نسيت ذلك، فسبحان الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، ولا يخفى عليه مِن حركات عباده ولا من سكناتهم شيء، وإذا علمت أنه لا بد من المجازاة يوم القيامة فاعلم أنَّ الواجبات على قسمين: حقوق الله تعالى وحقوق العباد، أما حقوق الله تعالى فمبناها على المسامحة، لأنه تعالى غنيٌّ عنِ العالَمِينَ، وأمَّا حقوق العباد فهي التي يجب الاحتراز عنها، رُوِي: أنَّ أبا حنيفة ﷺ كان له على مجوسيٍّ مالٌ، فذهب إلى داره ليطالبه به، فلمَّا وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة، فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي فتحيَّر أبو حنيفة وقال: إنْ تركتُها كان ذلك سببًا لقبح جدار هذا المجوسي، وإن حككتها انحدر التراب من الحائط، فدق الباب، فخرجت الجارية، فقال لها: قولي لمولاك: إنَّ أبا حنيفة بالباب، فخرج إليه وظنَّ أنه يطالبه بالمال، فأخذ يعتذر، فقال أبو حنيفة ﷺ: هاهنا ما هو أَوْلى، وذكر قصة الجدار، وأنه كيف السبيل إلى تطهيره، فقال المجوسي: فأنا أبدأ بتطهير نفسي، فأسلم في الحال. والنكتة في ذلك أنَّ أبا حنيفة لمَّا احترز عن ظلم المجوسي في ذلك القدر اليسير من الظلم فلأجل تركه ذلك انتقل المجوسي من الكفر إلى الإيمان، فمن احترز عن الظلم كيف يكون حاله عند الله تعالى)[3].

(1) أخرجه الشيخان، صحيح البخاري (3329)، صحيح مسلم (2910).

(2) الكحال، جهد المقل، ج2/ص452-ب وما بعدها.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص11-ب.

وأيضًا: في الجزء الثاني[1] يذكر قصة الرجل الذي أغوته المرأة فلطخ نفسه بالخبائث، فتركته، ثُمَّ أصبحت تفوحُ منه رائحة المسك... وغيرها مِنَ القصص التي لا نُطِيلُ بذِكرِها.

وبصرف النظر إن كانت القصة صحيحة أم لا؟ ولكن موطن الشاهد أن الشيخ يستطرد بذكر أمور لا علاقة لها بالتفسير.

ومِنَ الأمثلة على تفاسير الصوفيَّة: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الفاتحة: 4]: (﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة.. وقال الغزالي[2]: الصوفيَّةُ يشاهدون الملائكة في يقظتهم، أي: لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم، وقطعهم العلائق، وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال، وإقبالهم على الله بالكلية عِلمًا دائمًا وعَملًا مستمرًّا)[3].

ومِنَ الأمثلة على القصص الإسرائيلية: قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لَا يَرجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]: (﴿فَهُم لَا يَرجِعُونَ﴾ عن الضلالة... حُكِي[4] أنَّ مَلِكًا جبَّارًا بنى قصرًا وشيَّده وزخرفه ثمَّ آلى يمينًا أن لا يدنو إليه أحدٌ، ومَن دنا منه قتله، وجار بقتل كل مَن يراه يدنو منه، فوعظه رجلٌ ونهاهُ عن ذلك فلم يلتفت إليه، فخرج الواعظ من عنده وبنى له كوخًا _أي: بيتًا من أقصاب_ وجعل يعبد الله فيه، فبينما الجبار في قصره وأصحابه بين يديه، إذ تمثَّل له ملك الموت على صورة رجلٍ شابٍّ حسنِ الهيئة، فجعل يطوف حول هذا القصر ويرفع رأسه إليه، فقال بعضُ ندمائه: أيها الملك إنَّا نرى رجلًا يطوف حول القصر وينظر إليه، فتعالى المَلِكُ على منظر له فأبصره، فقال: هذا مجنونٌ أو غريبٌ عابر سبيل، ولكن انزل إليه فأرحه مِن نفسه، فنزل إليه الرجلُ، فلمَّا أراد أن يرفع إليه السيفَ قَبَض رُوحَه فخرَّ ميتًا، وكذلك آخر، فغضب الملك لأجل قتل صاحبيه، فنزل بنفسه ليقتله، وقال له: مَن أنت؟ فقال: مَلَكُ الموت هادمُ اللَّذَّات ومُفرِّقُ الجماعات، فارتَعَدَ المَلِكُ مِن هيبته حتى سقط السيفُ مِن يده، وأراد أن ينصرف، فقال له مَلَكُ الموت: إلى أين؟ إني أمرت بقبض روحك، فقال: أمهلني حتى أوصي أهلي وأودعهم، فلم يفعل، فقبض روحه، ثم جاء ملك الموت إلى ذلك الرجل الصالح في كوخه، فقال له: أيها الرجل الصالح أبشر فإني ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار وإني أمرت بقبض روحك، فقال: أمهلني حتى أودع أهلي، فأوحى الله تعالى إليه أن أمهله فذهب الرجل الصالح قدامه ليدخل القرية فتفكَّر ثم ندم، فقال: يا ملك الموت إني أخاف إن رأيت أهلي أن يتغيَّر قلبي، فاقبض روحي، فالله خيرٌ لهم منِّي، فقبض روحه).

---

(1) الكحال، جهد المقل، ج2/ص9-أ.

(2) الغزاليُّ، المنقذ من الضلال ص15، ونصُّه: (ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة...)، ونقله عنه: حقِّي في روح البيان ج6/ص259.

(3) الكحال، جهد المقل، ج1/ص22-أ.

(4) هذه القصة تروى عن وهب بن منبه: حُكِي أنَّ جبَّارًا عاتِيًا في الزمن الأول... ينظر: حقي، روح البيان، ج1/ص76.

ثم قال المُصنِّفُ: (قال بعضُ العارفين: العَجَبُ كلُّ العَجَبِ ممَّن يهرب ممَّا لا انفكاك له عنه _وهو مولاه الذي مَنَّ عليه بكُلِّ خيرٍ وأولاه_ ويطلب ما لا بقاء مَعَه _وهو ما يوافق النفس وشهواته_ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، اللهم لا تضلنا برحمتك يا أرحم الراحمين)[1].

ومن الأمثلة أيضًا قولُه عند تفسيرِ قولِه تعالى في قصَّة بلقيس معَ نبيِّ الله سليمان: ﴿قِيلَ لَهَا ادخُلِي الصَّرحَ﴾ [النمل: 44]: («الصَّرحُ» القَصر. اصطنعه سليمانُ لَمَّا قِيلَ له: إنَّ ساقيها وقدميها كقدمي الحمار... وفي «القرطبي»: قال وهبُ بنُ مُنبِّه: فلمَّا رأت اللجة فزعت، وظنَّت أنها قصد بها الغرق.. ولم يكن لها بُدٌّ مِن امتثال الأمر، فكشفت عن ساقيها، فإذا هي أحسنُ الناس ساقًا سليمة ممَّا قالت الجِنُّ فيها، غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلمَّا بلغت هذا الحدَّ قال لها سليمانُ بعد أن صَرَف بَصَرَه عنها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾)[2].

ومِن خلال التتبُّع وجدتُ أنَّ المُصنِّفَ يُكثِرُ مِن نقل قصص الإسرائيليات في تفسيره على عادة المفسرين القدماء الذي يحشدون كل ما يجدونه متعلقًا بالآيات من قريب أو بعيد. ولكن من إيجابيات هذا التفسير أنه ينبه على القصص إذ كانت غير صحيحة أو لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام، فمثالًا قال عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَهَل أَتَاكَ نَبَأُ الخَصمِ إِذ تَسَوَّرُوا المِحرَابَ إِذ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنهُم قَالُوا لَا تَخَف خَصمَانِ بَغَى بَعضُنَا عَلَى بَعضٍ فَاحكُم بَينَنَا بِالحَقِّ وَلَا تُشطِط وَاهدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: 21. 22]: (وأمَّا ما يُذكَر مِن أنه ﷺ دخل يومًا محرابَه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ بالزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطانُ في صورة حمامة مِن ذهبٍ، فمَدَّ يَدَه ليأخذها لابن صغيرٍ له، فطارت فامتدَّ إليها فطارت فوقعت في كوة، فتبعها فأبصر امرأة جميلةً قد نفضت شعرها فغطى بدنها، وهي امرأة أوريا وهو مِن غزاة البلقاء، فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء: أن ابعث أوريا وقدِّمه على التابوت، وكان مَن قُدِّم على التابوت لا يحلُّ له أن يرجع وراءه حتَّى يفتحَ الله سبحانه على يديه أو يستشهد، فبعثه ففتح له، فأمر بردِّه أخرى وثالثة حتى قُتِل، وتزوَّج امرأته... فهو إفكٌ مبتدعٌ مكروهٌ، ومكرٌ مخترعٌ تَمُجُّهُ الأسماعُ، وتَنفِرُ عنه الطباعُ، ويلٌ لِمَن ابتدعه وأشاعه، وتبًّا لِمَن اخترعه وأذاعه، ولذلك قال عليٌّ ﷺ: «مَن حدَّثني بحديثِ داود على ما يرويه القصاص جلدتُه مائة وستين»[3]، وذلك حدُّ الفرية _أي: الكذب_ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[4].

(1) الكحال، جهد المقل، ج1/ص37-ب.

(2) الكحال، جهد المقل، ج6/ص28-ب وما بعدها.

(3) قال الشيخ محمد أبو شهبة: (وهو كلام مقبولٌ مِن حيث المعنى إلَّا أنَّه لم يصحُّ عن الإمام عليٍّ كما قال العراقي). أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ج1/ص268.

(4) الكحال، جهد المقل، ج7/ص25-أ.

4. خاتمة

في نهاية هذا البحث نخلص إلى أهم النتائج:

- يُعَدُّ الشيخُ عبد الرحمن العيَّان الكحَّال أحدَ أعيان القرن الثالث عشر، فقد وُلِدَ عام (1250هـ).
- يُعَدُّ تفسيرُه «جهد المُقِلّ على الكلام الذي لا يُملُّ» تفسيرًا جامعًا بين التفسير بالأثر والتفسير بالرأي.
- لم يكن لتفسيرِه ذِكرٌ في كُتُبِ مَن صنَّفَ بعده، وذلك أنَّ تفسيرَه كان مفقودًا إلى وقتٍ قريبٍ.
- تضمَّن تفسيرُه بعضًا مِن آرائه الخاصَّة، فهو يتعرَّض أحيانًا لبعضِ قضايا عصرِه، ويربطُ معاني الآيات بالواقع.
- مِن أهمِّ التفاسير التي اعتمد عليها: تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي.
- كان مِن منهجه في تفسيره أنَّه:
  - تَوسَّع في ذِكرِ الآثارِ مِن أسبابِ النزولِ، والقراءاتِ القرآنية، واللغة، وفضائل السُّور.
  - اقتصدَ في ذِكرِ المناسباتِ بين الآياتِ والسُّورِ، والأحكام الفقهية والخلافات العقديَّة.
  - اهتمَّ بذِكرِ مقاصد السُّور.
  - نبَّه على الأحاديث الموضوعة في فضائل السُّور.
  - أشارَ إلى المصدر الذي يَنقُلُ عنه في الغالب.
  - لم يكتفِ بذِكر الإسرائيليات، بل نَبَّه إلى ما هو غير صحيحٍ أو ما هو غير مقبولٍ منها.
  - استطردَ بذِكرِ القصص التاريخية، وإشارات الصوفيَّة.

وفي الختام: أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عرض المادة العلمية، وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافَّات: 180. 182].

كتبه: عبد الكريم علي الخلف، 2024/02/03م

5. قائمة المراجع

- اطفيش، محمد بن يوسف، (1980م)، هميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.
- الأندلسي، أبو حيان، (2001م)، البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- البغوي، الحسين بن مسعود، (1997م) معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (2000م) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الفكر.
- الجصاص، أحمد بن علي، (2005م)، أحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الجمل، سليمان العجيلي، (2007م)، حاشية الجمل الفتوحات الإلهية، بيروت، دار الكتب العلمية.

- ابن الجوزي، أبي الفرج، (1987م)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، دار الفكر.
- حقي، إسماعيل البروسوي، (2018م)، تفسير روح البيان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الخازن، علاء الدين، (1979م)، لباب التأويل، بيروت، دار الفكر.
- الخفاجي، الشهاب، (2001م) حاشية الشهاب على البيضاوي، بيروت، دار صادر.
- الرازي، فخر الدين، (1999م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- زاهر عيان كحال، (1441هـ 2019م)، عبد الرحمن بن محمد صالح العيان الكحال، موقع رابطة العلماء السوريين/https://islamsyria.com/ar :
- زاهر كحال، (2022م)، الشيخ عبد الرحمن العيان الكحال، صفحة الأستاذ زاهر كحال في فيسبوك : https://www.facebook.com/zaher.kahal/
- الزمخشري، محمود بن عمر، (2000م)، الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- السمرقندي، أبو الليث، (2010م)، بحر العلوم، بيروت، دار الفكر.
- السمين الحلبي، (2008م) الدر المصون، دمشق، دار القلم.
- السيوطي، جلال الدين، (1995م)، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، دار الكتب العلمية.
- السيوطي، جلال الدين، (1990م)، تفسير الجلالين، بيروت، دار المعرفة.
- الشربيني، الخطيب، (2004م)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو شهبة، محمد، (1988م)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، مكتبة السُّنة.
- الطباخ، محمد راغب، (1988م)، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب، دار القلم العربي.
- الطبري، محمد بن جرير، (2000م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- العمادي، أبو السعود، (1991م)، إرشاد العقل السليم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الغزالي، أبو حامد، (2009م) المنقذ من الضلال، الأردن، دار النفائس.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (2003م)، الجامع لأحكام القرآن، الرياض، دار عالم الكتب.
- كاتبي، محمد عدنان، (2006م)، علماء من حلب، حلب، دار الرضوان.
- الكحال، عبد الرحمن العيان، (مخطوط)، جهد المقل على الكلام الذي لا يمل، إسطنبول، جامعة إسطنبول، مكتبة الآثار النادرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1994م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- النسفي، أبي حفص عمر بن محمد، (2019م)، التيسير في التفسير، بيروت، دار اللباب.
- الواحدي، علي بن أحمد، (1991م)، أسباب النزول، بيروت، دار الكتب العلمية.

7. Bibliography List

- Abu Shahbah, Muhammad. (1988). Al. Isra'iliyyat wa al. Mawdu'at fi Kutub al. Tafsir. Cairo: Maktabat al-Sunnah.
- Al-'Imadi, Abu al-Su'ud. (1991). Irshad al. 'Aql al. Salim. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan. (2001). Al. Bahr al. Muhit. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Baghawi, Al-Husayn ibn Mas'ud. (1997). Ma'alim al. Tanzil. Riyadh: Dar Taybah.
- Al-Baydawi, Abdullah ibn Umar. (2000). Anwar al. Tanzil wa Asrar al. Ta'wil. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Ghazali, Abu Hamid. (2009). Al. Munqidh min al. Dalal. Jordan: Dar al-Nafa'is.
- Al-Jamal, Sulayman al-'Ajili. (2007). Hashiyat al. Jamal: Al. Futuhat al. Ilahiyyah. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Jassas, Ahmad ibn Ali. (2005). Ahkam al. Qur'an. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Kahhal, Abdulrahman al-'Ayyan. (Manuscript). Juhd al. Muqill 'ala al. Kalam alladhi la Yumall. Istanbul: Istanbul University, Library of Rare Manuscripts.
- Al-Khafaji, Al-Shihab. (2001). Hashiyat al. Shihab 'ala al. Baydawi. Beirut: Dar Sader.
- Al-Khazin, 'Ala' al-Din. (1979). Lubab al. Ta'wil. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Nasafi, Abi Hafs Umar ibn Muhammad. (2019). Al. Taysir fi al. Tafsir. Beirut: Dar al-Lubab.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (2003). Al. Jami' li. Ahkam al. Qur'an. Riyadh: Dar 'Alam al-Kutub.
- Al-Razi, Fakhr al-Din. (1999). Mafatih al. Ghayb. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Samarqandi, Abu al-Layth. (2010). Bahr al. 'Ulum. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Samin al-Halabi. (2008). Al. Durr al. Masun. Damascus: Dar al-Qalam.
- Al-Sharbini, Al-Khatib. (2004). Al. Siraj al. Munir fi al. I'anah 'ala Ma'rifat Ba'd Ma'ani Kalam Rabbina al. Hakim al. Khabir. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1990). Tafsir al. Jalalayn. Beirut: Dar al-Ma'rifah.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1995). Lubab al. Nuqul fi Asbab al. Nuzul. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2000). Jami‘ al. Bayan ‘an Ta’wil Ay al. Qur’an. Beirut: Mu’assasat al-Risalah.
- Al-Tabbakh, Muhammad Raghib. (1988). I‘lam al. Nubala' bi. Tarikh Halab al. Shahba'. Aleppo: Dar al-Qalam al-‘Arabi.
- Al-Wahidi, Ali ibn Ahmad. (1991). Asbab al. Nuzul. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar. (2000). Al. Kashshaf. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-‘Arabi.
- Atfiysh, Muhammad ibn Yusuf. (1980). Humyan al. Zad ila Dar al. Ma'ad. Oman: Ministry of National Heritage and Culture.
- Haqqi, Isma'il al-Burusawi. (2018). Tafsir Ruh al. Bayan. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Ibn al-Jawzi, Abi al-Faraj. (1987). Zad al. Masir fi ‘Ilm al. Tafsir. Beirut: Dar al-Fikr.
- Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram. (1994). Lisan al. ‘Arab. Beirut: Dar Sader.
- Katibi, Muhammad Adnan. (2006). ‘Ulama' min Halab. Aleppo: Dar al-Ridwan.
- Zahir ‘Ayyan Kahhal. (1441/2019). Abdulrahman ibn Muhammad Salih al. ‘Ayyan al. Kahhal. Syrian Scholars Association website: https://islamsyria.com/ar/Zahir Kahhal.
- Zahir Kahhal. (2022) Shaykh Abdulrahman al. ‘Ayyan al. Kahhal. Zahir Kahhal’s Facebook page: https://www.facebook.com/zaher.kahal